الأخبار
al-akhbar

ملاحق
كلمات

وداد حلواني: رسائل إلى الغائب

رنا علوش

السبت 12
نيسان 2025

كثيراتٌ هنّ النساء اللواتي دفعهنّ الحبّ إلى الانتظار، ودفعهنّ هذا الانتظار إلى تخيّل حبيبهنّ وهو يدخل باب منزلهنّ مراراً وتكراراً.

فكّرن في أدقّ التفاصيل لحظة دخوله: ماذا سترتدي حين يأتي إليها بعد غيابٍ طويل؟ ما هي أوّل كلمة ستقولها له؟ هل سيكون الحضن فعلاً تلقائياً وعفوياً، أم سيكون صعباً عليها بعد الغياب الطويل؟ وماذا عنه هو؟

هكذا هو الانتظار، يقف على الحافة بين الواقع والخيال. أن تنتظر حبيباً لا تعرف أين هو، يدفعك إلى العيش في الخيال. وحين يطول الانتظار، يصبح هذا الخيال سوداوياً، أقسى من الواقع نفسه.

وداد حلواني، التي فقدت زوجها عام 1982 ولم تعرف أثراً له حتى اليوم، أمضت ثلاثاً وأربعين سنةً من حياتها وهي تنتظره، الزوج الذي أحبّته وما تزال. تخيّلت مراراً المكان الذي قد يكون أُخفي فيه، وكيف

يعامله خاطفوه: هل يشعر بالبرد؟ بالحرّ؟ بالجوع؟ هل يتعرّض للتعذيب؟ وحين تعبت من محاولات تخيّل المكان الذي أُخفي قسراً فيه، حملها الأمل إلى لحظة اللقاء: كيف ستكون؟ هل سيعود إليها حيّاً أم ميتاً؟ ماذا سيقول لها؟ وكيف ستخبره بكلّ ما عاشته في غيابه الطويل؟

حلواني، التي أسّست «لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان»، ليست الوحيدة التي تنتظر ويتآكلها وجع الانتظار كلّ يوم.

في مقابلاتنا معها في ذكرى مرور خمسين عاماً على الحرب الأهلية، استذكرت «أم عزيز»، التي كانت إحدى أهالي المفقودين. فقدت ابنها عزيز وإخوته الثلاثة.

وبعد عقودٍ من الانتظار، كانت تجلس في غرفة الجلوس في منزلها حين رأت ابنها عزيز يتجوّل أمامها.

نهضت من مكانها، ولحقت به من غرفةٍ إلى أخرى، لتدرك أنّ عودته كانت من محض الخيال. رحلت «أم عزيز» من دون أن تعرف مصير أبنائها الأربعة، كما رحل كثيرون غيرها أمضوا نصف عمرهم في انتظار خبرٍ عن أحبّتهم، ثم غادروا الحياة، تاركين خلفهم الانتظار.

ليست حروب الآخرين على أرضنا

«لا يمكن لملفّ الحرب الأهلية أن يُغلق، طالما ملفّ المفقودين ما يزال مفتوحاً»، تؤكّد حلواني. كيف تُطوى صفحة الحرب من دون معالجة نتائجها؟ كيف لأهالي المفقودين أن يتصالحوا مع ما جرى من عنفٍ وظلم، وحقوقهم ما تزال منقوصة؟ كيف تُنسى الحرب وما يزال ضحاياها مفقودين؟

«لم تكن حروب الآخرين على أرضنا»، تردّ على من يلقون اللوم على دول الخارج في ما يتعلق بالحرب اللبنانية: «علينا تحمّل مسؤولية القتل والخطف والحرب. حتى لو كانت الحرب تخدم مصالح خارجية، فنحن مسؤولون عن السماح باندلاعها واستمرارها».

وتشير إلى أنّ الحرب التي استمرّت خمسة عشر عاماً، بدأت كحربٍ أهلية، لكنها تحوّلت إلى حروبٍ متداخلة، وتشدّد على أنّ الوصول إلى نتيجة في ملفّ المفقودين يستوجب تحمّل المسؤولية كاملة، بدلاً من إلقاء اللوم على الخارج.

في ذكرى الحرب، تأسف حلواني لأن اللبنانيين ما يزالوا غير قادرين على العيش حياةً طبيعية، في ظلّ الخوف الدائم من تكرار المأساة: «كجيلٍ عاش الحرب الأهلية، أمورٌ أكثر من عادية تجعلنا نقلق من احتمال عودتها. الآن، مثلاً، تُجرى انتخابات البلديات، لكنّ بعضهم يخشى أن لا تمرّ الانتخابات بسلام، رغم أنّها شأنٌ طبيعيّ. لكن الخوف يلازم اللبنانيين حتى في أبسط الأمور».

وترى أنّ التوصّل إلى حلّ في ملفّ المفقودين سيسهم في التغلب على الذكريات الأليمة، وعلى هذا القلق المزمن، لأنّ الحصول على أجوبة يُساعد المتضرّرين على التصالح مع مأساتهم.

وفي سياقٍ آخر، تشيد حلواني باحتضان المناطق اللبنانية للنازحين المتضرّرين من الحرب الإسرائيلية الأخيرة، معتبرةً أنّ هذه الوحدة الوطنية تمثّل «بُشرة خير» في وجه محاولات الصهاينة لإثارة الفتن الطائفية وإعادة إنتاج الحرب الأهلية.

عن القانون 105

تُشير حلواني إلى القانون 105، الذي أُقرّ عام 2018، باعتباره خطوةً مهمة على طريق كشف مصير المفقودين، وتكريس حق أهاليهم بمعرفة مصيرهم، لكنّ العبرة تبقى في التنفيذ. وتوضح أنّ هذا القانون، الذي ينصّ على إنشاء «الهيئة الوطنية للمفقودين والمخفيين قسراً في لبنان»، لم يكن ليبصر النور لولا سنواتٍ من التظاهرات والاجتماعات والفعاليات التي نظّمتها «لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين».

وفي ذكرى الحرب، رفعت اللجنة عريضةً تطالب فيها رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء بتنفيذ القانون وتعيين هيئةٍ جديدة، بعد انتهاء ولاية الهيئة الأولى.

وتنتقد حلواني أداء المسؤولين، قائلةً: «الكثير من الدول عانت ويلات الحروب، وخسرت مواطنين تعرّضوا للخطف أو الاختفاء القسري، لكنها عملت على معالجة تداعياتها، بينما زعماؤنا لا يزالون منشغلين بالمحاصصة والتجاذبات السياسية، من دون أن يتحرّك أحدٌ منهم لحلّ تداعيات الحرب، وأوّلها ملفّ المفقودين».

شو بعدن ناطرين؟

حلواني، التي وجدت نفسها أمّاً وحيدة لطفلين بعد فقدان زوجها، حاولت بكلّ ما أوتيت البحث عنه ورفع صوت أهالي المفقودين عالياً. في المقابلة، أكّدت أنّ حديثها يجب أن يبقى منصبّاً على العمل من أجل كشف الحقيقة، قائلةً: «بعضهم يعلّق ساخراً: «شو بعدن ناطرين؟ بكونوا عضامن هرهروا».

لكن من حقّنا أن نعرف أين هي هذه العظام، وأن ندفنها بكرامة. الموت سنّة الحياة، لكنّ الخطف والإخفاء القسري ليس كذلك».

وكشفت أنّها تحضّر لإصدار كتابٍ يحمل توقيعها، يستعرض سيرتها وتجربتها مع فقدان زوجها. وعن فكرة الكتاب، تقول: «اعتدتُ على كتابة الرسائل إلى زوجي المفقود، ثم بدأت أكتب عن تجربتي في تربية طفلين صغيرين في ظلّ غيابه.

ومع الوقت، وجدتُ أنّ لديّ نصوصاً كثيرة، فقرّرت جمعها في كتاب يبرز معاناتي، ومعاناة كلّ امرأة عاشت ألم فقدان أحد أفراد عائلتها». وتضيف: «هذه تجربتي الأولى الفعلية في الكتابة، وإن نجحت، يهمّني أن أرفع صوت أهالي المفقودين جميعهم، فأنا واحدةٌ منهم».

مقالات ذات صلة

ملاحق
قصائد الحرب الأهلية